زيادة (من) في الإيجاب

أ. د. سعاد كريدي كنداوي الباحث: صباح جودي علي عزيز

جامعة القادسية/ كلية التربية/ قسم اللغة العربية

edu-arb.post67@qu.adu.iq

تاريخ الطلب: ٢٠٢٣/٨/٢٤

تاريخ القبول: ٢٠٢٣/٩/٢٧

الملخص

يستهدف البحث دراسة رأي الاخفش الأوسط في مسألة زيادة من في الايجاب، الذي أورده الباقولي في كتابه(كشف المشكلات وايضاح المعضلات)، وتحليله ومقارنته بآراء علماء النحو ممن سبقوه او لحقوه، وقد انطلق البحث بمنهجه الوصفي من نقطة الخلاف في زيادة(مِن) في الاثبات بعدما اشترط البصريون زيادتها في النفي، فقد مثلت هذه المسألة مسألة خلافية بين المدرستين، ولهذا جاء هذا البحث لدراسة هذه المسألة واقوال العلماء فيها، ودراسة ما نقله الباقولي في كتابه عن الاخفش الأوسط.

الكلمات المفتاحية: (الاخفش، الباقولي، من، الايجاب).

Abstract: The research aims to study the opinion of Al-Akhfash Al-Awsat on the issue of increasing who is in the affirmative, which Al-Baqouli mentioned in his

book (Uncovering Problems and Clarifying Dilemmas), analyzing and comparing it with the opinions of grammarians who preceded him or followed him. After the Basrians stipulated that it be increased in the denial, this issue represented a controversial issue between the two schools, and for this reason this research came to study this issue and the sayings of scholars about it, and to study what Al-Baqouli transmitted in his book on the middle Al-Akhfash

المقدمة:

تتسع حروف الجر لاستيعاب مسائل عديدة لكثرة استعمالها في التراكيب القولية، وتعدد معانيها بالنسبة للمتكلم، اذ يستطيع بها تأدية المعاني المقصودة عبر سياقاتها التركيبية، ولهذا استحوذت هذه الحروف على مساحة وافرة من الدرس النحوي، ولعل حرف الجر(مِنْ) هي احدى هذه الحروف التي تعددت فيها آراء العلماء ومنهم الاخفش الأوسط التي تمثل آراءه جسرًا ممتدًا بين المدرستين: البصرية والكوفية، وقد تركز البحث عن آرائه في كتاب الباقولي(كشف المعضلات وايضاح المشكلات).

ذهب البصريونَ إلى أنّ (مِنْ) الجارة لا تزاد إلّا بشرطين:

الأول) أنْ لا يكون ما قبلها موجبًا.

الآخر) تنكير مجرورها.

جاء في الكتاب: ((وليست «عن» و«على» ههنا بمنزلة الباء في قوله:﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾،[١] وليس بزيد؛ لأنَّ «عن» و«على» لا يفعَلُ بها ذاك، ولا بـ «منْ» في الواجب))[٢]، وإليه ذهب المبرد؛ قال: ((وَأمّا الزَّائِدَة

الَّتِي دُخُولهَا فِي الْكَلَام كسقوطها فقولك: مَا جَاءَنِي من أحدٍ، وَمَا كلّمت من أحدٍ، وكقول الله عز وَجل: ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾ [٣] إنّما هُوَ خيرٌ، وَلكنّهَا توكيدٌ وَمثل ذَلِك قَول الشَّاعِر:[٤]

جَزَيْتُكِ ضِعْفَ الوُدِّ لما اسْتَتْبْتِهِ وَمَا إِنْ جزاكِ الضِّعْفَ مِنْ أَحَد قَبْلي

فَهَذَا مَوضِع زيادتها إِلَّا أَنَّك دللت فِيهِ على أَنّه للنكرات دون المعارف)). [٥]

وتابعه ابن سراج مستدلًا بالنص الكريم السابق قال: ((﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ﴾، إنّما هو: خير، ولكنّها توكيدٌ وكذلك: ما ضربت من رجلٍ، إنّما هو: ما ضربت رجلًا، فهذا موضع زيادتها إلّا أنّه موضعٌ دلّت فيه على أنّه للنكرات دون المعارف))[٦]، وعلل دخولها على النكرات من دون المعارف بقوله: ((ألا ترى أنّك تقول: ما جاءني من أحدٍ، وما جاءني من رجلٍ، ولا تقول: ما جاءني من عبد الله. لأنّ «رجلًا» في موضع الجمع، ولا يقع المعروف هذا الموضع لأنّه شيء قد عرف بعينِه ألا ترى أنّك تقول: عشرون درهمًا ولا تقول: عشرون الدرهم)).[٧]

في حين أجاز الكوفيونَ والأخفش زيادتها في الإيجاب[٨]، وذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك حيث أجاز دخولها على المعرفة وهو الكسائي، قال: ((و«من» زائدة في نحو ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا﴾. [١٠]))[٩]

ونقل الباقولي في كتابه كشف المشكلات وإيضاح المعضلات رأي الكوفيينَ والأخفش، قال موجهًا قوله تعالى:﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾[١١]: ((وعلى قول الأخفش: فيها بردٌ، فيكون (من) زيادة، فيكون موضع الجار والمجرور رفعًا بالظرف، لأنّ الظرف صفة لجبال)).[١٢]

وما قاله الباقولي له ما يؤيده في كتاب معاني القرآن للأخفش، قال: ((أمّا قوله ﴿يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا﴾ [١٣]، وإنْ شئت جعلته على قولك: «ما رأيت مِنْ أَحَدٍ» تريد: «ما رأيتُ أحَدًا» و«هلْ جاءك مِنْ رَجُلٍ» تريد هل جاءك رَجُلٌ. فان قلت: إنّما يكون هذا في النفي والإستفهام، فقد جاء في غير ذلك)). [١٤]

ومن المواضع التي أجاز زيادة(مِن) فيها، قوله تعالى:﴿فَكُلُواْ مِمَّآ أَمۡسَكۡنَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [١٥]، قال: ((أدخل (من)، كما أدخله في قوله: كان من حديث، و: قد كان من مطر)) [١٦]، وإليه ذهب أبو حيان، قال في توجيه قوله تعالى: ﴿يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾[١٧]، فـ(من) ههنا زائدة أيضًا دخولها كخروجها. [١٨]

وقد سبق الخليلُ الأخفش والكوفيينَ إلى هذا الرأي، جاء في العين: ((وأمّا قول اللهِ جلَّ وعزَّ: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[١٩] ففيه قولانِ: أحدهما: وينزل من السماء من أمثال جبالٍ فيها من بَرَدٍ، والثاني: ويُنزِل من السماء من جبالٍ فيها بَرَدٌ. ومِن صِلةٌ)). [٢٠]

وبمذهب الخليل أخذ أهل الكوفة، والأخفش، ومن تابعهم ومنهم الفارسي، فقد أورد الفارسي ذكر أبي الحسن في قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾، قال: ((وقال بعضهم: ينزل من السماء من جبال فيها من بردٍ، أي في السماء جبال من برد، يريد: أنْ يجعل الجبال من برد السماء، ويجعل الإنزال منها، قلت: أنا، اي الفارسي، في هذه الآية قبل أنْ اعرف أنّ هذا القول لأبي الحسن، قوله: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٖ فِيهَا مِنۢ بَرَدٖ﴾، المعنى: وينزل من السماء جبالًا فيها من بردٍ. فموضع (مِن) الأولى نصبٌ على إنّه ظرفٌ، والثانية نصبٌ على أنّه موضع المفعول به، وفيها صفةٌ للجبال، و(مِن) الثالثة للتبين، كأنّه يبين من أي شيءٍ هذا المكثر بقولك (من المال) وقد جعلنا (من) في بعض هذه التأويلات زائدة في الإيجاب، وذلك مذهب أبي الحسن الأخفش)). [٢١]

وقد ذكر الرضي رأي الأخفش في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيًّا﴾[٢٢]، قال: ((من فيه زائدة كما هو مذهب الأخفش في زيادة(من) في الموجب، (وكل شيعة) مفعول لننزعن، وأيّهم أشد، جملة مستأنفة، لا تعلق لها بالفعل))[٢٣]، وإليه ذهب ابن مالك وعدّه مذهبًا قويًا لثبوت السماع به نظمًا ونثرًا، فاحتج له ونافح عنه، ورفده بشواهد عدة نثرًا وشعرًا، قال ((وأجاز أبو الحسن الأخفش وقوعها في الإيجاب ومجرورها معرفة. وبقوله أقول لثبوت السماع بذلك)). [٢٤]

ولم يرتضِ معظم النحويين قول الكوفيينَ والأخفش، لذا حملوا الشواهد التي استدلّوا بها على تأويلات عدّة حتى تستقيم مع القاعدة التي لا تجيز الزيادة الا مع النفي وما حمل عليه والتنكير، قال النحاس في توجيه قوله تعالى: ﴿يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ﴾[٢٥]، نقلًا عن الأخفش: ((من الزائدة هذا خطأ على قول سيبويه لأنّ (من) لا تزاد عنده في الواجب وإنّما دعا الأخفش أنّه لم يجد مفعولًا لـ(يخرج) فأراد أنْ يجعل (ما) مفعولًا، والأولى أنْ يكون المفعول محذوفًا دلَّ عليه سائر الكلام والتقدير: يخرج لنا مما تنبت الأرض مأكولًا، من بقلها بدل بإعادة الحروف وقثّائها عطف)). [٢٦]

ومثله قوله تعالى: ﴿وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّاتِكُمۡۗ﴾ وقوله: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾[٢٧]، فقد وجه الجمهور الشاهدينِ على جعل (من) للتبعيض وليست زائدة، أي بعض سيئاتكم وبعض ذنوبكم، وقد عللوا ذلك، أنّ الصدقة لا تمحص كل السيئات، بل تمحص ما دون الكبائر، وتمحيص الذنوب كلها يكون بالتوبة واجتناب الكبائر.

أمّا وجه التبعيض في ﴿مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ فهو: ((بمعنى ليغفر لكم بعض ذنوبكم لأنّه يغفر ما دون الشرك، ولا يغفر الشرك))[٢٨]، ومنهم من جعل (من) ها هنا لبيان الجنس[٢٩]، ولهذا السبب لم تأت (من) في قوله تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّاتِكُمۡ﴾[٣٠]، لأنّه سبحانه جعل جزاء اجتناب الكبائر تكفير جميع

السيئات، ويرى الزمخشري أنّ قوله تعالى: ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ نزل في قوم نوح خاصة، فيجوز أنْ يكون قوم نوح إنّما يغفر لهم بعض ذنوبهم، أمّا ﴿يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾[٣١]، فنزلت في ((خطاب المؤمنين وكان ذلك للتفرقة بين الخطابينِ، ولئلا يسوي بين الفريقين في الميعاد)) [٣٢]، وزاد الرضي على كلام الزمخشري السابق فقال: ((وأجيب بانّ قوله تعالى ﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ خطاب لقوم نوح(ع)، وقوله تعالى:﴿يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ خطابًا لأمة محمد(ص)؛ ولو كانا أيضًا، خطابًا لأمة واحدة فغفران بعض الذنوب لا يناقض غفرانها، بل عدم غفران بعضها يناقض غفران كلها، واستدلوا بما حكى البغداديون من قول العرب: قد كان من مطرٍ، واجيب بأنّه على سبيل الحكاية، كأنّه سئل: هل كان من مطرٍ، فأجيب قد كان من مطرٍ، فزيدت في الموجب، لأجل حكاية المزيدة في غير الموجب، كما قال دعني من ثمرتان، كما في الموصولات)). [٣٣]

مما تقدم يتضح أنّ النحويين والبلاغيين والمفسرين لم يتعسفوا بالقول بزيادة الحرف لأنّه جاء لمعنى يؤديه، فلا يجوز أنْ يحكم بزيادته، إذا أمكن أنْ يجري على أصله، والقول بوقوع الزائد في التركيب يكون من جهة الإعراب لا من جهة المعنى، وقد عُدَّ الحرف زائدًا عند النحويين لأنّهم لم يجدوا له تأثيرًا إعرابيًا.

الخاتمة:

يرتكز الخلاف النحوي في زيادة(مِن) على ما اشترطه البصريون من شروط زيادتها، وقد انحصر هذان الشرطان في مجيئها في سياق النفي وان تدخل على نكرة، فالأمر لا يتعلق بـ(مِن)، بل يتعلق بما قبلها وما بعدها، بينما رأى الكوفيون ان زيادتها في الاثبات او دخولها على المعرفة ممكن، فهم بذلك لم يشترطوا ما اشترطه البصريون في زيادتها، بالشكل الذي خلق خلافًا بينهما، وقد عمّقت قراءة القرّاء هذا الخلاف، على

الرغم من ان متقدمي نحويي البصرة قد ذهبوا باتجاه زيادتها في الاثبات، كالخليل الذي سبق الكوفيين بهذا الرأي.

وقد ذهب الاخفش الأوسط بحسب ما نقله الباقولي مذهب الكوفيين، فلم يشترط لزيادتها ما اشترطه البصريون، وهذا وان بدا انفصالًا عن الخط البصري في النحو الا انه رأى ما رآه الخليل في هذه المسألة، فحقق بذلك اتساعًا في إمكانية التصرف بهذا الحرف واستعماله في الجملة المثبتة والمنفية.

وعلى ذلك، يتضح أنّ النحويين والبلاغيين والمفسرين لم يتعسفوا بالقول بزيادة الحرف لأنّه جاء لمعنى يؤديه، فلا يجوز أنْ يحكم بزيادته، إذا أمكن أنْ يجري على أصله، والقول بوقوع الزائد في التركيب يكون من جهة الإعراب لا من جهة المعنى، وقد عُدَّ الحرف زائدًا عند النحويين لأنّهم لم يجدوا له تأثيرًا إعرابيًا.

الهوامش:

١) يونس:٢٩.

٢) الكتاب: سيبويه: ٣٨/١

٣) البقرة: ١٠٥.

٤) ديوان أبو ذؤيب الهذلي: ٨٩.

٥) المقتضب: المبرد: ١٣٨/٤.

٦) الأصول في النحو: ابن سراج: ٣٦٥/١.

٧) ينظر: المصدر نفسه: ٤١٠/١.

٨) ينظر: الارتشاف: أبو حيان: ٢٤٤/٣، شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ٥٠١/١، الجنى الداني: المرادي: ٣٢١.

٩) مريم:٦٩.

١٠) معاني القرآن: الكسائي: ١٩١.

١١) النور: ٤٣.

[١٢]) كشف المشكلات وإيضاح المعضلات: الباقولي: ٩٥٩/٢؛ وينظر: ٢٥/١، ٣٩٥/١، ٥٦٩/١، ٦٨٢/٢.

[١٣]) البقرة: ٦١.

[١٤]) معاني القرآن: الأخفش الأوسط(هدى قراعة): ١٠٥/١.

[١٥]) المائدة: ٤.

[١٦]) معاني القرآن: الأخفش(هدى قراعة): ٢٧٦/١.

[١٧]) إبراهيم: ١٠.

[١٨]) ينظر: البحر المحيط: أبو حيان: ١٠٩/٥.

[١٩]) النور: ٤٣.

[٢٠]) العين: الخليل: ٢٨/٨.

[٢١]) المسائل المشكلة: أبوعلي الفارسي: ٨٣.

[٢٢]) مريم: ٦٩.

[٢٣]) شرح الرضي على الكافية: الرضي: ٦٣.

[٢٤]) شرح التسهيل: ابن مالك: ١٣٨/٣.

[٢٥]) البقرة: ٦١.

[٢٦]) إعراب القرآن: النحاس: ٥٧/١.

[٢٧]) نوح: ٤.

[٢٨]) مجمع البيان في تفسير القرآن: الطبرسي: ٤٨/٦.

[٢٩]) ينظر: أسرار العربية: ابن الانباري: ١٩٤، شرح المفصل: ابن يعيش: ١٣/٨، اللباب: العكبري: ٣٥٦/١، شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور: ٤٨٥.

[٣٠]) النساء:٣١.

[٣١]) الزمر: ٥٣.

[٣٢]) الكشاف: الزمخشري: ٥٤٣/٢.

[٣٣]) شرح الكافية: الرضي: ٢٦٠/٤؛ وينظر: شرح المفصل: ابن يعيش: ١٣/٨، الجمل في النحو: الزجاجي: ٤٩٤/١.

المصادر والمراجع

- ارتشاف الضرب من لسان العرب، ابو حيان محمد بن يوسف بن حيان الاندلسي (ت ٧٤٥هـ) تحقيق وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد ط١، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ١٤١٨هـ_ ١٩٩٨م.
- اسرار العربية ابو البركات كمال الدين الانباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق: بركات يوسف هبود، ط١، دار الارقم بن ابي الارقم، بيروت،١٤٢٠هـ_١٩٩٩م.
- الاصول في النحو: ابو بكر محمد بن سهل بن السراج (ت ٣١٦هـ) تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ_١٩٩٩م.
- اعراب القران، ابو جعفر احمد بن اسماعيل النحاس (ت ٣٨٨هـ)، تحقيق: زهير غازي زاهد، ط٢، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ_١٩٨٥م.
- ديوان ابي ذؤيب الهذلي، تحقيق انطونيوس بطرس، ط١، دار صادر، بيروت، ط: ٢٠٠٣م.
- شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد)، جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالم (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وطارق فتحي السيد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ_٢٠٠١م.
- شرح الرضي على كافية ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ)، رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ)، شرح وتحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، ط١، عالم الكتب، مصر، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.
- شرح المفصل، موفق الدين ابي البقاء يعيش بن علي بن يعيش (ت ٦٤٣هـ)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: د. اميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ_٢٠٠١م.
- شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير)، ابن عصفور الاشبيلي (ت ٦٦٩)، تحقيق: صاحب ابو جناح، ط١، وزارة الاوقاف والشؤون الدينية، الجمهورية العراقية، ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م.
- كتاب العين، الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، ط١، دار ومكتبة الهلال، (د. ط)، (د. ت).

- الكتاب، ابو بشر عمرو بن عثمان سيبويه (ت ١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام هارون، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ_١٩٨٨م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل، الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمر، المتوفي سنة (٥٣٨هـ) الطبعة الثانية، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢١هـ_٢٠٠١م.
- كشف المشكلات وايضاح المعضلات جامع العلوم ابو الحسن علي بن الحسين الباقولي (ت ٥٤٣هـ)، تحقيق: د. احمد الدالي، (د. ط) مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤٨٠هـ_١٩٨٧م.
- اللباب في علل البناء والاعراب ابو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: د. محي الدين رمضان، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ_ ١٩٨٤م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، امين الاسلام ابو علي بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٩٠هـ _١٩٩٨م.
- المسائل المشكلة المعروفة بالبغداديات، ابو الحسن بن احمد الفارسي النحوي (ت ٣٧٧هـ) تحقيق: صلاح الدين عبد الله الشينكاوي، مطبعة العاني، بغداد، ١٤١٣هـ_١٩٨٣م.
- معاني القران: أبو الحسن سعيد بن مسعدة الاخفش الاوسط (ت ٢١٥هـ) تحقيق: هدى قراعة، الطبعة الاولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١هـ_ ١٩٩٠م.
- معاني القران، علي حمزة الكسائي (ت ١٨٩هـ) اعداد د. عيسى شحاته، ط١، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩م.
- المقتضب ابو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت ٢٨٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمه، لجنة احياء التراث الاسلامي، القاهرة، ١٤٢٦هـ_ ٢٠٠٧م.